

نساء
في الإسلام

* * *

أمُّ وَرَقَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

نجلاء شوقي حسن

أُمُّ وَرَقَةَ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

خَرَجَتْ فَاطِمَةُ وَوَالِدَتُهَا مِنَ الْمَسْجِدِ ، بَعْدَ
أَدَاءِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ مَسْرُورَتَيْنِ ، فَقَدْ أَعْجَبَتْهُمَا
الْحُطْبَةُ الَّتِي أَلْقَاهَا إِمَامُ الْمَسْجِدِ ، وَكَانَتْ عَنْ
مَوَاقِفِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَعَ
أَصْحَابِهِ .

وَقَالَتْ فَاطِمَةُ :

- مِنْ هِيَ يَا أُمِّي أُمُّ وَرَقَةَ ، الَّتِي ذَكَرَهَا إِمَامُ

الْمَسْجِدِ ، فِي بَضْعِ كَلِمَاتٍ مِنْ حَدِيثِهِ ؟

قَالَتْ أُمُّهَا وَهِيَ تَبْتَسِمُ :

— هِيَ يَا ابْنَتِي الصَّحَابِيَّةُ الْجَلِيلَةُ ، الَّتِي بَشَّرَهَا
رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — بِالشَّهَادَةِ ،
فَنَالَتَهَا .

قَالَتْ فَاطِمَةُ :

— نَعَمْ يَا أُمِّي ، فَهَذَا هُوَ مَا سَمِعْنَاهُ مِنَ الْإِمَامِ
لَا أَكْثَرَ ، وَلَكِنْ مِنْ هِيَ أُمُّ وَرَقَةَ ، وَمَا هِيَ
حِكَايَتُهَا ؟ فَهَذَا مَا أَوَدُّ أَنْ أَعْرِفَهُ .

قَالَتْ أُمُّهَا وَهِيَ تَفْتَحُ بَابَ الشُّقَّةِ :

— نَجْلِسُ الْآنَ أَوَّلًا ، ثُمَّ أَحَدُثُكَ عَنْ حِكَايَتِهَا .
وَجَلَسَتْ أُمُّهَا عَلَى الْأَرِيكَةِ ، وَجَلَسَتْ فَاطِمَةُ
قَرِيبًا مِنْهَا .

وقالت أمها :

— أم ورقة هي بنت عبد الله بن الحارث الأنصاريّة ، والأنصار يا ابنتي هم أهل يثرب .
وتبدأ حكاية أم ورقة عندما جاءت البشري لأهل يثرب ، أن النبي — صلى الله عليه وسلم —
قد خرج من مكة هو وصاحبه أبو بكر الصديق ،
مهاجرين إلى يثرب ، فخرج أهل يثرب عن
بكرة أبيهم — أي كلهم — وخرج معهم
المهاجرون الذين هاجروا من قبل من مكة إلى
يثرب ، وكانوا جميعاً في لهفة وشوق ، لرؤية
رسول الله — صلى الله عليه وسلم — .

فلَمَّا تَأَخَّرَ وَصُولُ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ إِلَى يَثْرِبَ ،
 سَاوَرَتْ بَعْضَهُمُ الظُّنُونُ ، وَخَشَوْا أَنْ تَكُونَ
 بَعْضُ الْعَقَبَاتِ قَدْ عَاقَتْ الرَّسُولَ وَصَاحِبَهُ ،
 وَمَنَعَتْهُمَا مِنَ الْحُضُورِ .

وَلَكِنْ عِنايةَ اللَّهِ — سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى — كَانَتْ
 أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْ كُلِّ عَقْبَةٍ ، فَتَكَفَّلَتْ بِحِمَايَتِهِ
 وَرِعَايَتِهِ ، حَتَّى أَشْرَقَتْ طَلَعَتُهُ الشَّرِيفَةُ عَلَى
 يَثْرِبَ — الَّتِي أُطْلِقَ عَلَيْهَا مِنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ،
 اسْمُهَا الَّذِي عُرِفَتْ بِهِ فِيمَا بَعْدَ ، وَهُوَ « الْمَدِينَةُ
 الْمُنَوَّرَةُ » فَغَمَرَتْهَا بِالنُّورِ ، وَشَمِلَتْهَا بِالْفَرَحَةِ ،
 وَخَرَجَ نِسَاؤُهَا يَضْرِبْنَ بِالْأُفُوفِ ، وَيُطْلِقْنَ

الزُّغَارِيدُ ، وَيُنْشِدُنْ مُرَحَّبَاتِ بَرَسُولِ اللَّهِ
- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ
أُيُّهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمَطَاعِ
جِئْتَ شَرَّفْتَ الْمَدِينَةَ مَرَحَّبًا يَا خَيْرَ دَاعٍ

* * *

وَكَانَتْ أُمُّ وَرَقَةَ تَقِفُ مَعَ أَخَوَاتِهَا ، تَهْتِفُ
وَتُلَوِّحُ مُرَحِّبَةً بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ - وَهُوَ يَمْضِي بَيْنَ جُمُوعِ مُسْتَقْبِلِيهِ ،
فَوْقَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ .

واستقرَّ الرسولُ الكريمُ - صَلَّى اللهُ عليه
 وسلَّم - بالمدينة المنورة ، وانصرفت أمُّ ورقة
 - رَضِيَ اللهُ عنها - إلى كتابِ اللهِ - سبحانه
 وتعالى - تحفظُ آياته ، وتتفقهُ معانيه ، وتقومُ
 الليلَ عابدةً تُصَلِّي وتقرأُ القرآن ، وتخشعُ
 وتبكي ، وتعكفُ على جمعِ آياتِ القرآنِ
 الكريمِ في دارِها ، مكتوبةً على العظامِ والجلودِ
 والرقائق ، مُرتبةً كما أمرَ رسولُ اللهِ - صَلَّى
 اللهُ عليه وسلَّم - .

وكانت أمُّ ورقةَ واحدةً من نساءِ الأنصار ،
 اللاتي كانَ نبيُّ اللهِ الكريمِ ، يقصدهنَّ

وَيَزُورُهُنَّ فِي بَيْوتِهِنَّ ، فَكَانَ يَأْتِي إِلَيْهَا زَائِرًا بَيْنَ
الْحَيْنِ وَالْحَيْنِ ، وَمَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، إِكْرَامًا لَهَا
وَإِعْزَازًا لِمَكَانَتِهَا .

وَكَانَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَرَى فِيهَا
الْمَرْأَةَ التَّقِيَّةَ ، وَالْعَابِدَةَ الصَّالِحَةَ ، الَّتِي عَلَى
الرُّغْمِ مِنْ مَالِهَا وَثَرَايِهَا ، كَانَتْ تَزِدَادُ تَوَاضُعًا
وَقُرْبًا مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ . كَمَا كَانَتْ تَعْطِفُ عَلَى
الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَتُعِينُ الضُّعَفَاءَ ، وَتَفْتَحُ لَهُمْ
عَقْلَهَا وَقَلْبَهَا وَبَابَ بَيْتِهَا . وَقَدْ سَخَّرَتْ مَالَهَا
وَنَفْسَهَا لِفِعْلِ الْخَيْرِ .

وكان يقوم على خدمتها في بيتها الكبير ، عبدٌ
وجارية ، ورثتهما فيما ورثت عن أهلها . فلما
أسلمت لله ، أعتقتهما وأعطتهما حرّيتهما ،
فإنما أن يعيشا معها ويعملا عندها ، أو يرحلا
إلى حيث يشاءان . ولكنهما فضلا أن يظلا على
ولائهما لها ، ويخدماها ويقوما على شئونها .
فوافقت على ذلك ، وحددت لكل واحدٍ
منهما أجراً على عمله عندها .

وذات يوم علمت أم ورقة - رضى الله عنها
- أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
نذب المسلمين من المهاجرين والأنصار لأن

يَخْرُجُوا وَيَعْتَزُّوا قَافِلَةً لِقُرَيْشٍ ، تَحْمِلُ تِجَارَةً
وَأَمْوَالًا ، وَهِيَ فِي طَرِيقِهَا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فِي
قُرَيْشٍ ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ الْقَافِلَةِ أَبُو سُفْيَانَ ،
أَحَدُ زُعَمَاءِ قُرَيْشٍ ، عِقَابًا لَهُمْ عَلَى مَا ارْتَكَبُوهُ
مِنْ إِيْذَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ ، وَنَهَبِ أَمْوَالِهِمْ .
فَاسْرَعَتْ أُمُّ وَرَقَةَ ، وَطَلَبَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ —
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — أَنْ يَأْذِنَ لَهَا بِالْخُرُوجِ مَعَ
الْخَارِجِينَ تُدَاوِي جَرَحَاهُمْ ، وَتُعَاجِلَ مَرْضَاهُمْ ،
لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكْتُبَ لَهَا الشَّهَادَةَ .

فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ — :

— إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سِعْدَتُهُ إِلَيْكَ

الشَّهَادَةُ . عَوْدِي إِلَى بَيْتِكَ فَإِنَّكَ شَهِيدَةٌ .

فَاطَمْتُ أُمَّ وَرَقَةَ رَسُولَ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ — وَلَزِمْتُ بَيْتَهَا ، وَجَعَلْتُ مِنْهُ مَسْجِدًا

وَمُصَلًّى ، وَجَعَلْتُ لَهُ مُؤَذِّنًا يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِإِذْنِ

الْحَقِّ كُلَّمَا حَانَ وَقْتُ الصَّلَاةِ . وَكَانَتْ تَقِفُ فِي

أَهْلِ بَيْتِهَا لِلصَّلَاةِ تُوْمِئُهُنَّ ، وَكَانَتْ تَعْظُمُهُنَّ

وَتُوجِّهُهُنَّ لِفَعْلِ الْخَيْرِ ، وَتَتَدَارَسُ مَعَهُنَّ مَعَانِي

الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ .

وهكذا أصبح بيتها مدرسة ، ومكاناً يجتمع فيه النساء يتفقهن في الدين ، ويتعبدن ويؤدين الصلاة .

وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يأتيها بين وقت وآخر ، يستطلع أحوالها ، ويتفقد مسجدها ، فيرشدها ويعظها وينصحها ، وكان يقول لأصحابه :

- انطلقوا بنا نزور الشهيذة .

وقد خرجت أم ورقة - رضي الله عنها - مع نساء المسلمين ، خلف الرجال المقاتلين في غزوة أحد ، تشد أزركهم ، وتداوى جراحهم .

وَأَمَضَتْ أُمُّ وَرَقَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - حَيَاتَهَا
 فِي زَمَنِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَفِي
 عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْأَوَّلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، عَابِدَةً
 زَاهِدَةً يُشَارُ إِلَيْهَا بِالْبَنَانِ .

أَمَّا فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الثَّانِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَدْ دَنَتْ سَاعَةُ رَحِيلِهَا عَنْ
 الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ - وَهِيَ السَّاعَةُ الَّتِي كَانَتْ
 تَتَمَنَّاها وَتَطْلُبُهَا وَتَسْعَى إِلَيْهَا ، شَهِيدَةً - كَمَا
 تَنْبَأُ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ،
 فَقَدْ اتَّفَقَ الْعَبْدُ وَالْجَارِيَةُ ، اللَّذَانِ طَالَمَا أُغْدَقَتْ
 عَلَيْهِمَا مِنْ عَطْفِهَا وَإِحْسَانِهَا ، وَمِنْ فَضْلِهَا

ورعايتها ، وكانا في حقيقة أمرهما غير جديرين
 بما أسلفت لهما وقدمت ، إذ وسوس لهما
 الشيطان ففرّهما مألها الكثير ، وهي عجز
 ووحيدة ، وعز عليهما أن يتركاهما لحالها بعد
 أن طال ولاؤهما لها ، وطمعا في أن ينعم بمالها
 الكثير ، فدبرا بكل غدر وخسة قتلها ، فقتلها
 واستوليا على أموالها ولاذا باهرب . وعندما
 علم الخليفة عمر بن الخطاب بما جرى لها ، تأثر
 كثيرا وقال :

— صدق رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

حين قال إنها ستموت شهيدة .

فأمرَ بِمُلاحَقةِ المُجرِمينَ ، وقد عمَّ المدينةَ كُلُّها
حُزنٌ شديداً على المؤمِنَةِ الصَّادِقةِ .

ولم يَمضِ اليَومُ التَّالِي على الجَرمِمةِ ، حتَّى
أَمسَكَ رِجالُ الخَلِيفَةِ بِهِما ، وعادوا بِهِما وبما
يَحْمِلانِ من أَموالٍ ومَتاعٍ ، إلى الخَلِيفَةِ ، فَكانَ
جِزاؤُهُما أن قُتِلا وصُلِّيا ، لِيكونا عِبرَةً لِمَن
يَعْتَبِرُ .

رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ وَرَقَةَ المُجاهِدَةَ الصَّابِرَةَ ، رَضِيَ
اللَّهُ عَنْها .